

التبيان في تفسير القرآن

(429) ذلك للانسان الا في حال التقية، لانه لادليل يؤمن من الخطأ عليه، فعلى هذا يلزمه في النبي ان يحسن منه من غير تقية، لكونه معصوما لا يكذب في اخباره ولاخلاف بين أهل العدل أنه لايجوز اظهار كلمة الكفر إلا مع التعريض بأن ينوي بقلبه ما يخرج عن كونه كاذبا، فأما على وجه الاخبار، فلايجوز أصلا لانه قادر على التعريض الذي يخرج به عن كونه كاذبا. قوله تعالى: (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن لا يهدي القوم الكافرين (107) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون (108) لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) (109) ثلاث آيات بخلاف. قوله " ذلك " اشارة إلى ماتقدم ذكره من العذاب العظيم. أخبر الله تعالى ان ذلك العذاب العظيم إنما أعده لهم، لانهم آثروا الحياة الدنيا، والتلذذ فيها، والركون اليها على الآخرة، والمعنى انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة. والعمل يجب أن يكون طلبا للآخرة، أو للدنيا والآخرة. فأما أن يكون لمجرد الدنيا دون الآخرة فلايجوز، لانه إذا طلب الدنيا ترك الواجب من الطاعات لامحالة، وكذلك لاينبغي أن يختار المباح على النافلة لان النافلة طاعة الله. والمباح ليس بطاعة له. ثم أخبر تعالى " أن الله لا يهدي القوم الكافرين " ومعناه أحد شيئين: احدهما - إنه لا يهديهم إلى طريق الجنة والثواب، لكفرهم. الثاني - إنه لا يحكم بهدايتهم لكونهم كفارا. وأما نصب الدلالة، فقد هدى الله جميع المكلفين، كما قال " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " (1) وقيل: إنهم لم يهتدوا بتلك الادلة، فكأنها لم تكن نصبت لهم، ونصبت _____ (1) سورة حم السجدة (فصلت) آية 17